بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ 22 مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي 1446هـ

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا، وَمِنَ الْكَلِمَاتِ أَجْمَلَهَا عِنْدَ حَدِيثِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ حَتَّىٰ تَشِيعَ الْأُلْفَةُ وَالْمَوَدَّةُ، وَتَنْدَفِعَ أَسْبَابُ الْهَجْرِ وَالْقَطِيعَةِ وَالْعَدَاوَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ، مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرٍ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِإِيثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾ أَيْ: يَسْعَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ بِمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ. فَدَوَاءُ هَذَا أَنْ لَا يُطِيعُوهُ فِي الْأَقْوَالِ غَيْرِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَلِينُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ لِيَنْقَمِعَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُ عَدُوُّهُمُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَارِبُوهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُوهُمْ ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. وَأَمَّا إِخْوَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَسَعَىٰ فِي الْعَدَاوَةِ، فَإِنَّ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ السَّعْيُ فِي ضِدِّ عَدُوِّهِمْ، وَأَنْ يَقْمَعُوا أَنْفُسَهُمُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، الَّتِي يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِهَا، فَبِذَلِكَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ، وَيُهْدَوْنَ لِرُشْدِهِمْ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُسْنَ الْعِشْرَةِ خُلُقٌ نَبِيلٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ نُبْلِ صَاحِبِهِ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ. وَمِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ: الْقَوْلُ الْحَسَنُ لِلنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ

رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِمَالِهِ، أَمَرَ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ بِهِ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ بِالْقَوْلِ، فَيَكُونُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ النَّهْيُ عَنِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ لِلنَّاسِ، حَتَّىٰ لِلْكُفَّارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

عِبَادَ اللهِ: مَا أَعْظَمَ ثَوَابَ مَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّىٰ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». فابْتَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِكْرِ مَنِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ الفَضْلَ بِإِلَانَةِ الْكَلَامِ، بِلِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ لُطْفُهُ وَحُسْنُهُ وَطِيبُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ تَرْتَفِعُ الْمَنَازِلُ فِي الْجَنَّاتِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لما سَأَلَهُ رَبُّهُ عَنِ الدَّرَجاتِ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ مِمَّا يُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

إِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَطِيبُ بِهَا الْقُلُوبُ، وَتَجْتَمِعُ بِهَا الْأَفْئِدَةُ، وَيَنْدَفِعُ بِهَا الشَّرُّ، وَيَدْخُلُ بِهَا السُّرُورُ عَلَىٰ مَنْ تُحَدِّثُهُ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُجْرِي اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ عَلَيْكَ الْأَجْرَ الْحَسَنَ، وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ.

فَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ، فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ لَيْسَ حِكْرًا عَلَىٰ مُوَافِقٍ، وَلَا عَلَىٰ مَحْبُوبٍ، وَلَا عَلَىٰ صَاحِبٍ، بَلْ هُوَ حَقٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، فَالْمُسْلِمُ طَيِّبُ الْقَوْلِ، جَمِيلُ الْمَنْطِقِ، فِي مُعَامَلَتِهِ، وَمُخَاطَبَتِهِ، وَتَعَامُلِهِ، وَمُحَاوَرَتِهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا: بِالسَّلَامِ، وَطِيبِ الْكَلَامِ، وَاحْذَرُوا سَيِّئَهُ؛ فَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ تُحِبُّهُ النُّفُوسُ، وَتَنْجَذِبُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، ثِمَارُهُ طَيِّبَةٌ، وَآثَارُهُ جَلِيلَةٌ؛ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْإِنْسَانُ الْقَوْلَ الْحَسَنَ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ، وَالْمُحِبِّ وَالْمُبْغِضِ، وَالصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَدْفَعُ الشَّرَّ وَيَجْلِبُ الْخَيْرَ؛ فَيَجِبُ عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الْقَوْلَ الْحَسَنَ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، فَهَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ، وَيَقُولُونَ لَهُ كَلَامًا مُلْتَبِسًا، يُشْبِهُ السَّلَامَ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ».

عِبَادَ اللهِ: يَتَأَكَّدُ الْقَوْلُ الْحَسَنُ فِي أَعْلَىٰ صُوَرِهِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾، نَهَىٰ عَنْ أَدْنَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْلِ السَّيِّئِ، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، ثُمَّ قَالَ فِي طَلَبِ السُّمُوِّ وَالْعُلُوِّ: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أَيْ: كَثِيرَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنَ الْآفَاتِ الْفَتَّاكَةِ الَّتِي سَادَتْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَسَادِ الْكَبِيرِ، وَالشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ، آفَةَ كَلَامِ السُّوءِ، وَخَبِيثِ الْقَوْلِ، الَّذِي يَفْعَلُ فِعْلَ الْوَبَاءِ الْقَاتِلِ فِي حَيَاتِنَا، وَقَدْ أَضْحَتِ الْأَلْسِنَةُ طَلِيقَةً بِالسُّوءِ، بِغَيْرِ قُيُودٍ وَلَا حُدُودٍ.

إِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ثَمَرَةُ اللِّسَانِ الطَّيِّبِ، وَالْقَلْبِ الْوَدُودِ، لَا تُؤْذِي الْمَشَاعِرَ، وَلَا تَخْدِشُ الْحَيَاءَ، بَلْ تَطْرَبُ لَهَا الْآذَانُ، وَتَنْشَرِحُ لَهَا الصُّدُورُ وَتَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَتُحَوِّلُ الْغَاضِبَ الثَّائِرَ حَلِيمًا، وَتَجْعَلُ الْعَدُوَّ الْحَاقِدَ صَدِيقًا

حَمِيمًا، وَتَصُونُ الْمُجْتَمَعَ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالصِّرَاعَاتِ وَالْفِتَنِ.

وَمِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمُرُوءَةِ الْإِقْلَالُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ مَدْعَاةٌ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَحْظُورِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ مُبَاحِ الْكَلَامِ يَجُرُّ صَاحِبَهُ وَيَسْتَدْرِجُهُ إِلَىٰ مَا فِيهِ إِثْمٌ، أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مُعْجَمَيْهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ»، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمَرْءَ مَا دَامَ سَاكِتًا صَامِتًا فَهُوَ آمِنٌ، فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ كَلَامُهُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، فَوَجَبَ التَّحَفُّظُ وَالتَّيَقُّظُ وَالْمُرَاقَبَةُ لِشَهْوَةِ الْكَلَامِ، الَّتِي يَسْقُطُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ضَحَايَا لَهَا. وَلَا خَيْرَ فِي كَلَامٍ لَا نَفْعَ فِيهِ لِدِينِ الْمَرْءِ وَلَا لِدُنْيَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَىٰ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!».